مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخامس – حزيران – 2023 / June

الحجاج اللغوي في سورة مريم

م. د. فاطمة عبد زيد شوين الخزاعي[1]
[1] جامعة الكوفة، العراق

falkhuzai6@gmail.com

ملخص. عندما تمس الحاجة إلى هذا الحوار مضماره طرح قضية غير متسالم عليها، فإن على طرف ما أن يقدم حججه التي تعضد رأيه وتساند وتفصح عن وجهة نظره واضحة جلية، ولم يكتف بذلك فقط حتى ينصرف إلى محاولة جعل الطرف الآخر من النزاع مقراً معتقد بما يراه، رامي بحجاجه إلى إقناعه– إقناع خصمه المتنازع معه–، بل وتمثله رأيه وحثه على إنجاز قوله الذي يراه، تاركة رأيه المنافح عنه منبع رأي خصمه مقتنع به، ذلك وفق ما سمح به الحوار من ظهور الحجاج وسيلة غايتها الإقناع. ولان سورة مريم تتسم بنسق حروفها وألفاظها الحجاجية، و تراكيب جملها وأساليبها، فضلاً عن الترتيب الأسلوبي في المعنى والدلالة، وتنظيم الكلمات، فقد دفعني هذا إلى الشروع والغوص في سبر غورها لأخرج بدراسة لغوية تظهر الجانب الفني في هذه السورة المباركة. ولتحقيق هذه غاية تم تقسيم البحث على فقرات عدة مختصة بالجانب اللغوي، هي: (الروابط الحجاجية) و (أدوات الشرط) و (التوكيد) و (أفعال الكلام)، ثم انهيت البحث بخاتمة وثبت المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: سورة مريم، الحجاج، الروابط الحجاجية، افعال الكلام، ادوات الشرط، التوكيد.

Abstract. When the need for this dialogue arises in the context of raising a non-conciliatory issue, then one party must present its arguments that support its opinion and support and express its clear

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

and clear point of view, and not only do that until it turns to an attempt to make the other side of the conflict a seat of belief in what it sees, aiming By persuading him, persuading his opponent in conflict with him, and even represented by his opinion and urging him to accomplish what he sees, leaving his defending opinion as the source of the opinion of an opponent convinced of him, according to what the dialogue allowed from the appearance of Hajjaj as a means of persuasion. And because Surat Maryam is characterized by the format of its letters and words, and the structures of its sentences and methods, as well as the stylistic arrangement in meaning and significance, and the organization of words, this prompted me to embark and dive into its depth to come up with a linguistic study that shows the technical aspect of this blessed surah. To achieve this goal, the research was divided into several paragraphs related to the linguistic aspect, namely: (conditional tools), (emphasis) and (speech verbs), then I ended the research with a conclusion and proven sources and references.

key words: Surah Maryam, Pilgrims, Argumentative links, speech verbs, conditional tools, Affirmation.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار المنتجبين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد. . .

إن للنص القرآني حضور قوي في مختلف الدراسات العربية بمختلف ميادينها – شرعية أو لغوية– ولا غرابة في ذلك فهو الحدث الأكبر في الكون، فاهتمت الأمة به وصرفت معظم جهدها لدراسته، ولم يكن ذلك حكراً على تخصص دون آخر؛ لأن العلوم كلها كانت منبعثة منه وعليه؛

ولأن سورة مريم تتسم بنسق حروفها وألفاظها، و تراكيب جملها وأساليبها، فضلاً عن الترتيب الأسلوبي في المعنى والدلالة، وتنظيم الكلمات، فقد دفعني هذا إلى الشروع والغوص في سبر غورها لأخرج بدراسة لغوية تظهر الجانب الفني في هذه السورة المباركة.

ولتحقيق هذه غاية تم تقسيم البحث على فقرات عدة مختصة بالجانب اللغوي، هي: (أدوات الشرط) و (التوكيد) و (أفعال الكلام)، ثم انهيت البحث بخاتمة وثبت المصادر والمراجع.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

التمهيد

الحجاج في اللغة والاصطلاح

الحجاج لغة:

الحِجاج في اللغة هو "من الفِعل حاجَّ، يحاجّ، و حاجَجَ/حاجَّ، مُحاجَّة وحِجاجاً، فهو مُحاجٌّ، والمفعول مُحاجٌّ للمُتعدّي، وحاجَّ الشخصَ بمعنى: أقامَ الحُجَّة، والدليل؛ لإثبات أنّ الأمرَ صحيح، وبرهَنَ بتقديم الحُجَّةِ، والدليل؛ ليقنعَ الآخرين، وحاجَّ الشخصَ: أي جادلَه، وخاصمَه، ونازعَه بالحُجَّةِ، وناظرَه، ويُعرَّف الحِجاجُ في اللغة أيضاً على أنّه المُجادَلةُ التي يكون سببُها الخلافُ على وجهةِ نظر ما، ويكونُ الهدفُ منها إثباتُ الرأي، وهو الغلبةُ على الخصومِ في الكلامِ، والخطابِ، باستخدامِ الحُجَّةِ والبُرهان". (ابن منظور، 1997: 570).

وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محاج أي جيل. والحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج وحاة محا وحجاجا: نازعه الحجة، وحجه ب حجأ؛ عليه على حجته. واحتج بالشيء: اتخذه حج؛ قال الأزهري: إنما سميت حبي لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها والحجة: الدليل والبرهان.

يكشف المعنى المعجمي للحجاج إحالات على مدى ما تستبطنه الكلمة من دلالات، فيشير المعجم إلى ظهور الخصومة حول قضية معينة تستلزم طرفين متنازعين حولها، كما يكشف أيضاً لفظ (الجدل) بوصفه مرادف للحجاج فهو في معجم ابن منظور شدة الخصومة. . . مقابلة الحجة بالحجة، وبناءً على هذا المعطيات المعجمية إذا ما تجاوزنا ما بين لفظتي (الحجاج، الجدل) من أنفاق أو اختلاف، (بن عاشور، بلا ت.: 31؛ مولة، 2007: 11) يكون الحجاج حسب حضوره اللغوي أو المعجمي خصومة طرفين بواسطة مجموعة من الحجج والبراهين والأدلة، يقصد كلاهما من خلالها الظفر والغلبة على الآخر.

الحِجاج اصطلاحاً

ظَهرَ الحجاج كمُصطلَحٍ في نهايةِ عَقْدِ الخمسينيّات من القرن العشرين؛ وذلك مع مُحاولاتٍ لإقامةِ علمٍ لدراسةِ الخَطابةِ بأنواعِها؛ إذ قدَّمَ حاييم بيرلمان تعريفاً للحِجاج، مُركّزاً فيه على وظيفتِه، وهي "إقناعُ المُتلقّي بما يُعرَضُ عليه بالخِطابِ الحِجاجيّ؛ وذلك لاستمالة عقله، والتأثيرِ في سلوكِه، وبذلك يكونُ للحِجاج مفهومان: الأوّل، التحليل، والاستدلال، وتقديم المُبرّرات؛ للتأثير في الاعتقاد، والسلوك، والثاني،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

عمليّة التواصُل مع الآخرين، باستخدامِ المَنطق؛ بغَرَضِ التأثيرِ فيهم". (بن جعفر، 1980: 165-167)

ولابد عند الحديث عن مفهوم الحجاج اصطلاحا أذ تعود إلى المعاجم الفلسفية التي تحمل في طياتها رؤية للحجاج تساعد في إدراك مفهومة وفق الأطر الحديثة لدراسته، عرفا الحجاج تبع النظرة الفلسفية

الأول: المعجم الفلسفي الذي عرفه بأنه " جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها". (صليبا، 1982: 446)

أما الثاني: فهو موسوعة لا لاند الفلسفية وعرفته بأنه " مسرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها، أو طريقة عرض الحجج وترتيبه". (الاسد، 2001: 44)

وتستخلص من هذين المعجمين أمرين، أولهما: أن الحجاج سلسلة من الحجج المتابعة يؤت بها قصد دعم دعوى / أطروحة معينة أو دحضها.

وثانيهما: تأكيد كلا المعجمين على الطريقة التي يتم بها عرض الحجج على الملتقي، وكيفية انتظامها قصد التأثير فيه وإن كان هذا الأمر مضمنة في القول؛ فتوخي طريقة عرض الحجج تساعد الحجاج على أن يكون حجاجه مؤثرة مقنعة في الملتقي، وهذا هو غاية الحجاج، فالحجج وتسلسلها دليل على أن الحجة قوة تدعم أو تنفي الأطروحة وطريقة انتظامها – أي الحجة – قوة مؤكدة لهذا الدعم أو النفي. (كتابة، 2010: 80)

وتشترك النظرة المنطقية للحجاج مع النظرة الفلسفية في توضيح مفهومه فهو في صناعة تمكن الإنسان من إقامة الحج المؤلفة من المسلمات أو من ردها حسب المنطق، و الإرادة ومن الاحتراز عن لزوم المناقضة في المحافظة على الوضع، والمقصود بالوضع الرأي المعتقد به أو المستلزم به، فتسلسل الحجج في التعريف الفلسفي هو ما تجعل الحجاج محترزا عن لزوم المناقضة في التعريف المنطقي، مع الحفاظ على جوهر الحجاج وهو الوضع أو الدعوى التي تدور حملها المحاجى حتي ينال كل طرف من صاحبه اقتناع نتيجة عرضه للحجج، وحتى يجهد للتأثير في الخصم وتسليمه عن طريق الحجاج الذي وصفه صاحب كتاب التعريفات بأنه "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومدار الأمر من هذه الإلماحة إلى بعض تعريفات الحجاج في المعاجم الفلسفية أو المنطقية، الوقوف على مفهومه وفق النظرة المعرفية للحجاج أو الاصطلاحية التي تبين عن مفهومه حسب ما تعارف عليه أهله، وهي نظرة قد تكون ضيقة الأبعاد إذا ما قورنت بمفهوم الحجاج وفق الدراسات البلاغية الجديدة. وهو ما يزيد حاجتنا إلى التعرف على مفهوم الحجاج في ضوء بعض النماذج التي درسته، وفي مجموعة من الأطر التي أحاول الوقوف عليها تعرف كيف تحدد مفهوم الحجاج في الدراسات الحديثة، وكيف تعللت طريقة الرؤية إليه ليكتسب هذا التنوع والثراء.

المدخل:

1. الروابط الحجاجية:

ويراد بها الأدوات التي تسهم في عقد العلاقات ما بين الحجج والنتائج فهي تعين المتكلم على تقديم حججه بحال يتناسب والمقام الذي هو فيه، ويرى ديكرو أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وهذا التأثير والحمل على الإذعان والإقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات إنما يحصل بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، (العزاوي، 2006: 16) بطريقة أخرى أن اللغة فيها صفات ذاتية وجوهرية و فيها كثير من الوظائف الحجاجية.

ويعرف الرابط في النقد بأنه "العلاقات التي تحصل بين شيئين ببعضها البعض ويتعين كون لاحق منهما متعلق بسابقه". (سمير، بلا ت.: 176)

"وإذا كانت للغة وظيفة حجاجية فقط اشتملت على مؤشرات خاصة بالحجاج فاللغة العربية تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية". (الشهري، 1998: 204)

"والروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على ان الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها و تحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شان اللغات الاخرى بحيث يمكن ان نذكر منها ما يلي (بل، لكن، اذن، لاسيما، حتى، لئن، بما ان، إذا، إذ، الواو التاء، اللام، كي " (العزاوي، 2006: 22)

ولبيان قيمة هذه الأدوات في سورة مريم لابد من توظيفها في بعض آيات السورة لإظهار القوة الحجاجية فيها، ومن هذه الادوات:

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

حتى: تعد من أدوات السلم الحجاجي ويشترط في هذا الرابط الحجاجي أن تكون الحجج المربوطة بواسطته منتمية إلى فئة حجاجية واحدة أي أنها تخدم نتيجة واحدة والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون أقوى الحجج؛ لذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الأبطال أو التعارض الحجاجي.

والآية الكريمة تشتمل على هذا الرابط الحجاجي في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) (سورة مريم: 75).

فهنا يشير (عز وجل) إلى أن من كان في الكفر فليمد له الله عز وجل وليدعه في طغيانه وكفره، فالدلالة الزمنية للفعل (فليمدد) هي لصيغة فعل الأمر الدال على المستقبل، لكن معناه الخبر أي من كان ضالا مذله الله عز وجل حتى أصبح ذلك أشد العقاب، فيأتي هنا الرابط (حتى) ليربط بين الحجة الأولى والحجة الثانية، وهي إما أن يعذب هؤلاء الضالين بسيوف المؤمنين وقيل المراد به عذاب القبر، أو أن تقوم الساعة ويرون العذاب ويصبح مصيرهم النار فآنذاك تتضح الحقيقة ويعرف هؤلاء من هو الأضعف هم أم المؤمنون، وهذا جواب ورد على القول: (أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا).

الواو: يعد الواو من اهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب بل يقوي الحجز بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة فالواو رابط حجاجي مدعم بالحجج المتساوقة أو المتساندة، ويستعمل (الواو) حجاجياً وذلك لترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، كما تعمل على الربط النسقي افقياً على عكس السلم الحجاجي". (الشهري، 1998: 472-473)

و" الواو يدل على اشتراك الثاني فيما دخل في الأول وليس فيها دليل على أيهما كان أولاً" (محمد، بلا ت.: 148)

ومن ذلك قوله تعالى: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) (سورة مريم: 90).

تلحظ أن الرابط الحجاجي (الواو) قام بالوصل بين مجموعة من الحجج فعمد إلى ترتيبها من أجل تقوية وتدعيم النتيجة فنراها حجج منسقة ومترابطة، كل حجة تكون أقوى وأشد وقعاً من الأخرى، وقد جاءت هذه الحجج لتفنيد ادعاء من قال لله ولدا، فالشرك هو أمر قد فزعت منه السماوات والأرض كونهن قائمات على توحيد الله سبحانه وتعالى فعند سماع مثل هذا الادعاء تكاد السماوات تنشق خوفا وتكاد الأرض إن تنشق على بعضها البعض كون الله تعالى واحد لا إله إلا هو وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الفاء: هو من الروابط الحجاجية الذي يفيد في ترتيب الحجج وربط النتائج بالمقدمات أي عبر الربط بين السبب والنتيجة باستعمال الرابط الحجاجي (الفاء) الذي يؤمن الانتقال بينهما فهو بذلك يقوم بحصر المعنى وتحديد الفكرة وهو ما يسمح بإقامة بُنية حجاجية مركبة من علاقات حجاجية بين الحجج والنتائج التي تقوم اساساً على التتبع لذا تعد من العلاقة الحجاجية التي تقوم على التتابع من أقدر العلاقات التي تفيد في بناء النص وتوليده وانسجامه. (حاتم، بلا ت.: 119)

"وما يتميز بهِ هذا النوع من الترابط التتابعي من غيره من الترابطات المنطقية الأخرى هو خاصية الترتيب الزمني فهو الاساس فيه "، (صولة، بلا ت.: 332) مثال ذلك قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) (سورة مريم: 50).

أي أن الله تعالى رب كل شيء خالق السماوات والأرض وهو رب العوالم عاليها وسافلها، لا خالق سواه، فعلى الإنسان أن يعبده؛ لأنه أحق بالعبادة وأهل لها، وعلى الإنسان أن يصبر على تكاليف العبادة إذ لا نظير له ولا شبيه له، حتى أنه عز وجل لم يقل (واصبر) بل قال: (واصطبر) لأن ذلك يكون أكثر انسجاما مع العبادة التي تستوجب الصبر الشديد والمثابرة والمداومة، فنلحظ أن الرابط الحجاجي (الفاء) هنا قد ربط بين متغيرين حجاجين.

2. أدوات الشرط:

هو أسلوب تلازمي بين طرفين، أي أنَّ الأول يستلزم الثاني، والثاني يتوقف على الأول.

وقد عدّ الشرط من الأساليب التعبيرية القادرة على الاستجابة للمواقف الشعورية المختلفة والتعبير عنها عبر أدواته الجازمة وغير الجازمة، وقد عُرِّفَ الشرط بكونه "تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً على ماهيته" (الجرجاني، بلا ت.: 72؛ الزركشي، 1376 هـ: 354)

إذن هناك تعليق في الأسلوب الشرطي، وهذا التعليق أما معنوي، أو نظمي لفظي بأداة الشرط، والأداة: مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق، والتعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في العربية (حسان، بلا ت.: 123)

والشرط في سورة مريم من الأساليب التي لها دور في بناء هيكلية السورة، كما يسهم بشكل فعال في بناء الحجج على وفق الطريقة التي يرومها المحاجج وبالتالي يجبر الخصم على الاقتناع بالحجج المقدمة في أثناء مشاركته بالحلول نفسها.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومن امثلة الشرط، قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) (سورة مريم: 58).

فقد وظف اسم الشرطة (إذا) من أجل تحقيق مقاصد حجاجية لا تتم إلا بها، فالنص يقوم على حجة دامغة تستمد قوتها من المعرفة المشتركة التي يقوم عليها كل من الحس والواقع، فالنص تحدث عن مجموعة من الأنبياء في الآيات: (41، 51، 54، 56، ٥٨) أولئك الذين هداهم الله وأنعم عليهم بالمنزلة الرفيعة وكأن المحاجج يسأل (من أولئك؟) فيأتي الجواب ببعض المقدمات اليقينية الغاية منها رفع المتسائل إلى تصور الإجابة فيأتي فعل الشرط (تتلى) ومعه مجموعة من المؤشرات اللغوية توجه المحاجج جهة الجواب وهو (وخروا سجدا) وبنكها هنا تكون حجة دامغة للخصم ولكل سامع، فهؤلاء الأنبياء عندما يسمعون آيات الرحمن تتلى عليهم يسجدون ويبكون من خشية الرحمن، فهم غيرهم من الناس الذين انعم الله عليهم بنعمة البصر والسمع، إلا أنهم صم بكم عن آيات الله لا يسمعون ولا يفقهون شيئا.

3. العوامل الحجاجية:

العامل الحجاجي: "هو مورفيم يدخل على المحتوى يقوم بتغيير الإمكانات الحجاجية لهذا المحتوى، انهُ لا يحدث تغير في القيمة الإخبارية وانما الاختلاف في القيمة الحجاجية ". (زغيد، بلا ت.: 138)

" وهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، اي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتغيير الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما " (العزاوي، 2006: 27)

" كما يتحدث ديكرو بقوله: هو ما يكون داخل القول الواحد، من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي او مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة، مثل منذ الظرفية وتقريباً وعلى الأقل. . . ". (حمود، بلا ت.: 377)

اما وظيفة هذه العوامل هو القيام بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكمن داخل عبارة ما، ومنها: (إنما، ما، إلا، لا. . .)، ووجدت تلك العوامل في آيات عدة من سورة مريم منها قوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) (سورة مريم: ١٩)، فقد ورد العامل الحجاجي (إنما) لإفادة أمور عدة، فهو يأتي لإثبات لما ذكر بعدها ونفي ما سواه، (السكاكي، بلا ت.: 66) كما أن موقعها في الآية الكريمة مناسب للحدث التي هي في صدده، فقد تمثل الملك بشر إلى مريم علاج الأمر الذي أفزعها وأرهبها فتسارع الملك إلى بيان ذلك، وتوضيح سبب المجيء وهو تبشيرها بعيسى

وتذكيرها باستمرارية الإغداق عليها بالأرزاق والرحمات فلا تخاف ولا تجزع كما أن في الأداة قصر الموصوف على الصفة إذ قصر (أنا) العائدة على (الملاك المرسل) على صفة الرسالة التي أرسله الله تعالى بها.

وقوله تعالى: (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) (سورة مريم: 21)، ذكر الله سبحانه وتعالى أن المؤمنين إذا ادخلهم في جناته التي وعدهم بها لا يسمعون فيها فيها لغوا، وهو الهذي والباطل، لكن سياق الآية يوكد شيء واحد عن طريق الاستثناء المنقطع في قوله (إلا سلاما) وقيل هو سلام الملائكة عليهم (الطبرسي، 1970: 53) وهنا تأكيد للسلام المطلق الذي لا عيب فيه ولا نقص وهو مجاز من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، هنا جاء العامل الحجاجي (لا، إلا) لتدعيم الحجة وتقويتها حيث أثبت أن الكلام السائد آنذاك هو السلام الذي لا لغو فيه ولا تأثيم.

4. التوكيد:

ومن المفيد ذكره في هذا المقام أَنَّ علماء المعاني نظروا إلى هذا الأسلوب من زاوية نفسية مرتبطة بالمتلقي الواقعي حقاً، أو المفترض من حيث نسبة التردد أو الشك في نفسه التي تتناسب طردياً مع كثرة المؤكدات، (ابو موسى، 2014: 48-49) والأدب – بوصفه أحد أنواع الفن – يرتكز على أساس الانفعال النفسي وينطلق منه، والانفعال هو جوهر الإبداع، (عصفور، 1988: 26) والتوكيد – في حقيقته– "تجسيد لمبدأ الانفعال، فالأديب عندما يحس أَنَّ مضمون رسالته قد يوافق نفساً متشككة، سيلوذ بما يمحو ذلك التردد، والتوكيد أحد هذه الوسائل، لأَنَّهُ يفيد في تقوية المؤكد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه". (السامرائي، 2000: 112)

وقد ورد أسلوب التوكيد في سورة مريم في مواضع عدة من ذلك قوله تعالى: (قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكِ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا) (سورة مريم: 9).

إذ وظف في النص الحرف (قد) الداخل على الجملة الفعلية (وقد خلفتك. . .)؛ ليؤكد بها عظمة الله تعالى وقدرته على خلق يحيى وهو أمر سهل هين عليه؛ كونه قادرا على كل شيء، إذ إن الحجة هو خلق آدم من العدم، والغاية من ذلك هو زرع الطمأنينة في قلب زكريا و إجابة دعائه.

5. أفعال الكلام:

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لقد جاءت نظرية أفعال الكلام التداولية لتفسير تلك النظرية التقليدية للكلام ونظرت إلى اللغة بوصفها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، فألغت الحدود بين الكلام والفعل، فإن الفعل الكلامي يعني لغة ما أو التحدث بما يعني تحقيق أفعال لغوية.

وهناك من يرى أن للفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد الخاطب، من أهمها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الانجازية تلك المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع.

وهنا يجب أن ندرك العلاقة بين القائم بفعل القول وتحقيقه وبين آثاره ونتائجه، ويتجلى هذا في الحوارات الموجودة في القرآن الكريم علينا أن نعلم أن النتائج تتضح بما ينتج عن أفعال الكلام نفسها بالرغم من أن (أوستن) يرى أن نتائج حدوث الفعل ليست من صنف القول ولا من صنف وقوعه على وجه من الوجوه؛ لأن لازم فعل الكلام يكون مفهوماً من الوسط الخارجي ومن قرائن الأحوال، ونتيجة لآثارها يعد بمثابة النتائج المتحصل عليها من متضمنات القول التي هي من الأصل مرتبة على تلقي فعل الكلام، وليس فعل الكلام ذاته بدليل أن ما يفهمه و يتأثر به متلق في سياق ما قد لا يحدث عند متلقي آخر، (المنهج الأمثل للتواصل والحوار، 2003: 112) وبالتالي فإن قوة أفعال الكلام تكمن في الأثر الذي ينتج عن القول ولا يمكن تحقيق ذلك الأثر ببيان المستفادة من الكلام ضمنا بمعونة القرائن، ومن تلك الأفعال:

6. الأفعال الإخبارية:

التي وردت في سورة مريم في قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) (سورة مريم: 58).

فالتمعن لمعاني هذه الآيات يجد أنها تضمنت أفعالاً خبرية فيها بناء حجاجي محكم، يثبت بها أن هذه الصفوة المختارة من الأنبياء إنما هم من أنعم الله عليهم ووفقهم واصطفاهم، وقد جاء هذا الإخبار بشكل أساليب خبرية متتالية تتعاضد لتشكل حججا تنتهي إلى هدف واحد هو إثبات أن هؤلاء هم أنبياء الله حقا، وأنهم مرسلون من الله تعالى وقد أنعم الله عليهم وعلى ذريتهم، كذلك تؤكد أن هؤلاء الأنبياء إذا ما سمعوا آيات الله وحججه خروا لها تذللاً وخضوعاً باكين من خشية الله تعالى، فالأخبار هنا جاءت لتحقيق غايات يقتضيها الكلام، وهي التأثير في نفس المتلقي وجعله متيقناً أن الله تعالى حق وأن ما أرسل من أنبياء هم حق و بنعمته وتوفيقه قد اصطفاهم وذرياتهم لوحيه ورسالته.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وفي قوله تعالى: (قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) (سورة مريم: ٢١).

شكلت الأفعال الخبرية بناء حجاجياً محكماً يثبت الهدف العام لكثير من قصص القرآن، ومنها قصة مريم التي تعد عبرة وتذكرة لأولي الألباب، فيمكن أن نقول أن أفعال الكلام الإخبارية هنا قد وجهت مسار الحجاج إلى الإقناع بما تتضمنه القصة من دلائل وإثباتات.

الخاتمة:

لقد شهد الدرس البلاغي في الآونة الأخيرة تطورا سريعاً الأمر الذي جعله يتساير مع فن الجدل والمنطق والبلاغة. . . ، وقد ارتبط مصطلح الحجاج مصطلحات عدة، منها: (الجدل، والخطابة، والبرهان، والإقناع) بيد أن المصطلح الأقرب لطبيعة الحجاج هو الإقناع، كون الحجاج وسيلة لتحقيق الإقناع فكل نص حجاجي هو بالتالي إقناعي، لكن ليس شرط أن يكون كل نص إقناعي هو حجاجها، وقد اعتمد النص القرآني في سورة مريم على تحقيق الإقناع بالحجج والبراهين التي تسوقها تلك الحجج القائمة على أدلة عقلية لا يجد الشخص مناصه دون أن يسلم بها، كما أن السورة احتضنت الكثير من الوسائل الإقناعية التي جاءت في قصص الأنبياء من أجل إقناع المتلقي بالقضية المطروحة ومن ثم الإيمان بالله تعالى، أما فيما يخص الروابط والعوامل الحجاجية فقط تعددت واختلفت في السورة، فكان لها أثر كبير في انسجام النص الحجاجي من جهة وتوجيهه و جهة قوية من جهة أخرى، هذا وقد اشتملت السورة على أساليب أخرى كالاستفهام والأمر والنهي واتضح جليا كيف أنها وجهت الأفعال حجاجها، وأخيرا ظهر أسلوب الحجاج – فعلا لغويا مركب – تتآزر شروطه من أجل تحقيق الإقناع والدفاع عن الدعوى المطروحة.

المصادر

القرآن الكريم

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1997). لسان العرب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت، لبنان: دار صادر.

[3] أبو موسى، محمد محمد. (2014). خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني). مكتبة وهبة.

[4] الأسد، أندريه. (2001). موسوعة الآلات الفلسفية. ترجمة خليل أحمد خليل. بيروت، لبنان: منشورات عويدات.

[5] بن عاشور، محمد الطاهر. (د. ت). التحرير والتنوير. تونس: التونسية.

[6] الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد. (د. ت). التعريفات. بغداد: ط1.

[7] حسان، تمام. (د. ت). اللغة العربية معناها ومبناها. بيروت: دار الثقافة.

[8] الحموي البغدادي الرومي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله. (١٩٨٠م). معجم الأدباء. بيروت، لبنان: دار الفكر.

[9] الخطيب، عبد الكريم. (د. ت). القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. بيروت: دار المعرفة.

[10] الخوارزمي الحنفي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي. (1987). مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

[11] درنوني، إيمان. (2013). الحجاج في النص القرآني. رسالة ماجستير، جامعة الحاج خضر.

[12] الرازي، فخر الدين الرازي. (1981). التفسير الكبير. بيروت: دار الفكر.

[13] الزركشي، بدر الدين. (1376هـ). البرهان في علوم القرآن. القاهرة: دار الأحياء.

[14] السامرائي، فاضل صالح. (2000). معاني النحو. ط1. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

[15] سلمان كتابة، علي محمد علي. (2010). الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله إنموذجا). بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

[16] الشهري، عبد الهادي ظافر. (1998). استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية لغوية. الرياض: دار الكتاب الجديد المتحدة.

[17] صليبا، جميل. (١٩٨٢). المعجم الفلسفي. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

[18] طبانة، بدوي. (1956). البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

[19] الطبرسي، أبو علي. (1970). مجمع البيان لعلوم القرآن. القاهرة: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

[20] العزاوي، أبو بكر. (2006). اللغة والحجاج. الدار البيضاء: دار الأحمد للنشر.

[21] العسكري، أبو هلال. (1989). كتاب الصناعتين في الشعر والنثر. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

[22] عصفور، جابر. (1988). نظريات معاصرة. ط1. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.
[23] عصفور، جابر. (1993). الصورة الفنية في التراث النقدي. بيروت، لبنان: المركز الثقافي.
[24] قدامة بن جعفر. (1980). جواهر الألفاظ. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
[25] القزويني الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا. (1979). مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دمشق: دار الفكر.
[26] كثير، عبد السلام. (2007). عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج. المغرب: افريقيا الشرق.
[27] مجلة التراث العربي. (2003). المنهج الأمثل للتواصل والحوار: نماذج من القرآن والحديث. (د. ت).
[28] مولة، عبد الله. (2007). الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية. بيروت، لبنان: دار الفارابي.